(دور منطقة كركوك الحضاري خلال فترة عصور ما قبل التاريخ في العراق)

د. حسين يوسف حازم النجم
مدرس
جامعة الموصل – كلية اللآثار

الملخص

لعبت منطقة كركوك بما مثلته مواقعها وقراها من دور حضاري وإنساني فعال خلال فترة عصور ما قبل التاريخ تلك الحقبة الزمنية المهمة من تاريخ العراق والتي تركزت في فتراتها المبكرة في المنطقة الشمالية بشكل رئيسي لما تمتعت به من بيئة طبيعية ملائمة وظروف مناخية جديدة .

وتعد منطقة كركوك واحدة من أهم المناطق التي تمتعت بميزات بيئية ومناخية وثروة نباتية وحيوانية كبيرة شكلت دافعاً وعاملاً مهماً للاستيطان البشري فيها ، اذ تقع في منطقة التلال السفحية او الشبه جبلية والتي تمتد جنوب وجنوبي غربي منطقة الجبال العالية المتاخمة لها وتمثل انتقالاً من الجبال العالية في أقصى الشمال والشمال الشرقي والسهول الواطئة في الجنوب ويتراوح ارتفاعها من حوالي (٢٠٠م) الى حوالي (١٠٠٠م) وتمثل حوالي ١٥% فقط من مساحة العراق .[١]

وتخترق هذه المنطقة جميع روافد نهر دجلة وهي الخابور والزاب الكبير والزاب الصغير والعظيم وديالى ، اذ تمدها بحوالي (٧٠%) من مياهه وتنحدر هذه الروافد باتجاه نهر دجلة مكونة سهولاً ووديانا في مناطق الموصل واربيل والسليمانية وكركوك وجزء من ديالى وهذه تمثل المنطقة المتموجة التي كان لها أهمية كبيرة ، اذ اهتدى الإنسان فيها للزراعة وانتقل من مرحلة جمع القوت الى أنتاج القوت ، كما ازدهرت فيها مستوطنات وقرى العصرين الحجري الحديث والمعدني .[٢]

ويسود مناخ السهوب المنطقة وهو المناخ الانتقالي.[٣] وقد تميز ذلك المناخ باعتدال في درجات الحرارة ونسبة تساقط سنوي للأمطار التي كان لها دوراً كبيراً في قيام الزراعة ونجاحها في المنطقة والمناطق الساحلية للبحر الأبيض المتوسط والتي يسودها ذلك المناخ .[٤]

والذي كان له الأثر البارز والمهم في عد المنطقة أحدى البيئات الطبيعية الحديثة التي تتوفر فيها أنواع مختلفة من النباتات والحيوانات التي توافرت بشكلها البري وتم تدجين البعض من خلال فترة العصر الحجري الحديث والتي لازالت موجودة حتى الوقت الحاضر في هذه المنطقة .[٥]

والتي قامت فيها العديد من المواقع والقرى القديمة ضمن مايعرف بالمرتفعات التلية للهلال الخصيب .[٦] وتندرج منطقة كركوك ضمن هذه المناطق التي تتمتع ببيئة طبيعية تتوافر فيها مجموعة من النباتات والحيوانات البرية والتي أصبحت قابلة للزراعة والتدجين كما يشير ويعتقد الكثير من الباحثين المختصين وفي مقدمتهم الباحث والمنقب الاثاري روبرت بريدوود (Rraidwood,R.) الذي يرى بان مناطق الشرق الأدنى القديم ومنها المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية من العراق تتمتع بتلك البيئية الطبيعية ، اذ ان اكثرية المواقع المبكرة تتركز في المنطقة التي أطلق عليها (Natural Habitat Zone) او باختصار (N.H.Z) أي منطقة الاستيطان الطبيعية بمجموعة معنية من النباتات والحيوانات البرية القابلة للتدجين .[٧]

وقد شهدت هذه المناطق استناداً الى الأدلة الأثرية المتوافرة قيام أقدم المجتمعات الزراعية والتي احتوت على الأشكال الأولى للمحاصيل الزراعية وفي مقدمتها الحبوب والحيوانات البرية القابلة للتدجين مثل الأغنام والماعز والماشية والخنازير وغيرها ، كما ان اغلب نتائج التنقيبات الأثرية التي أجريت في تلك المناطق ومنها كركوك تشير بان كلاً من أصول الزراعة وتدجين الحيوانات (باستثناء الكلب) كانت موجودة فيها ،[٨]

اذ يرى الباحث الاثاري ريد (Reed) بان الزراعة وتدجين حيوانات أنتاج القوت قد نمت في مجتمعات القرى الزراعية الكائنة في تلك المناطق . [٩]

وبوجه خاص فقد تم العثور في المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية على مواقع ومستوطنات قديمة تعود لفترات مبكرة من العصور الحجرية القديمة يقف موقع كريم شاهر في كركوك من ابرز تلك المواقع والتي ظهرت فيها البوادر الأولى للزراعة وتحديداً في الفترات المتأخرة من العصر الحجري المتوسط الى جانب مواقع زاوي حجي – شانيدار في اربيل وملفعات في الموصل ، اذ تدل الآثار المكتشفة في هذه المواقع على مرحلة انتقالية تدريجية الى ممارسة الزراعية الحقيقية في قرى ثابتة ، ففي هذه المنطقة توفرت الأحوال الطبيعية من مناخ ملائم ومطر وحيوانات برية ونباتات طبيعية وإنسان نشيط تمكن من تدجينها والاستفادة منها . [١٠]

دور منطقة كركوك الحضاري خلال فترة العصر الحجري المتوسط

يعد العصر الحجري المتوسط العصر الحجري القديم الثاني ويأتي من بعد نهاية العصر الحجري القديم وهو في الأغلب انتقال مابين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث .[١١] اذ كان من نتائج تغير المناخ في أواخر العصر الحجري القديم اثر ذوبان الجليد في القسم الشمالي من الكرة الأرضية ان بدا الإنسان وخاصة في منطقة الشرق الأدنى القديم عصراً جديداً في حياته اصطلح على تسميته بالعصر الحجري المتوسط لأنه يفصل بين عصر الصيد وجمع النباتات والثمار البرية وعصر الزراعة وتربية وتدجين الحيوان . [١٢]

وقد شكل انتقال الإنسان الى المرحلة الجديدة الممثلة بالعصر طفرة انتقالية وتغييراً بارزاً في بعض مظاهر حياته ، فقد بدأت هذه المرحلة كما اشرنا سابقاً عند نهاية آخر زحف او عصر جليدي من عصر البلايستوسين .[١٣] قبل حوالي (١٢) ألف سنة مضت بعد ذوبان الجليد ورجوعه الى خطوط العرض التي مازال متوقفاً عندها حتى الآن كما سبقت الإشارة .[١٤] وبتغير الظروف المناخية وما صاحبها من اعتدال المناخ اخذ الإنسان يغادر الكهوف التي احتمى فيها زمناً طويلاً من حياته واتجه نحو التكييف في مواقع سكنى جديدة والاستقرار المؤقت فيها وبما يلائم طبيعة المرحلة او عملية الانتقال السكني الجديد للإنسان .[١٥]

وقد أخذت هذه المواقع التي استوطن فيها الإنسان شكل مقرات موسمية مكشوفة في العراء على شواطئ الأنهار ومصباتها وعند ينابيعها المياه .[١٦]

ورافق ذلك تغييرات طفيفة في عملية حصوله على الغذاء من خلال قيامه بمحاولات متواضعة في زراعة النباتات البرية وترويض الحيوانات الا انه ظل يعتمد بشكل أساسي على الصيد والجمع كمصدر رئيسي لديمومة البقاء . [١٧] اذ كانت الاقتصاديات قائمة عليها .[١٨] وقد كشفت التنقيبات الأثرية في القرن المنصرم عن مخلفات وبقايا هذا العصر والذي يمتد من (١٢٥٠٠ – ١٠٠٠٠) سنة قبل الميلاد في عدد من المواقع في العراق من عدة أماكن من المنطقة الشمالية بعضها كهوف وملاجئ جبلية وبعضها على هيئة قرى ومستوطنات في الأرض المكشوفة . [١٩]

وتدل المخلفات الاثرية التي أجريت على المواد العضوية المكتشفة فيها والتي تمت بواسطة استخدام كاربون ١٤ (C14) الى إنها تعود الى الالف الحادي عشر والالف العاشر قبل الميلاد . [٢٠]

واهم هذه الكهوف هو كهف زرزي في شمال غرب مدينة السليمانية وكهف بالي كورا شرق منطقة جمجمال والطبقة (B) من كهف شانيدار في محافظة اربيل . [٢١]

أما المواقع المكشوفة فهي زاوي – حجمي شانيدار غرب كهف شانيدار . وموقع كريم شاهر في محافظة كركوك شرق منطقة جمجمال وموقع ملفعات على ضفة نهر الخازر على الطريق الرابط بين اربيل والموصل وكرد جاي على الضفة اليسرى لنهر الزاب الكبير . [٢٢] وقد مثل موقع كريم شاهر انعكاساً للتطور الحضاري الذي شهده العصر الحجري المتوسط في العراق عموماً ومنطقة كركوك بوجه خاص ، اذ عد نموذجاً بارزاً لحضارة العصر بما لعبه من دور بارز أسهم في تطور وتبلور المنجزات الحضارية في تلك الحقبة الزمنية ووضع الأسس الأولى واللبنات الحضارية التي قامت عليها المجتمعات العراقية القديمة خلال فترات العصور الحجرية القديمة اللاحقة وما بعدها . وموقع كريم شاهر موقع مفتوح يقع في منقطة المرتفعات التلية في شمال شرق العراق على بعد حوالي (٩كم) شرق مدينة جمجمال و (٧٥كم) شمال شرق مدينة كركوك . [٢٣]

ويشغل مساحة تقدر بنحو (٨٠٠٠)م^{٢} ويبلغ ارتفاعه حوالي (٨٣٥)م ، وقد كشفت التحريات الأثرية التي أجريت فيه عن دور واحد من الاستيطان ، تقع الطبقة السطحية لهذا الدور تحت سطح التل مباشرة ويبلغ عمقها مابين (٢٥-٣٠)سم ، ويرجع تاريخ الموقع المحتمل للالف التاسع او العاشر قبل الميلاد .

وقد جرت فيه تنقيبات أثرية أمريكية عام (١٩٥٠) من قبل المنقب بروس هاو (Howe, B.) .[٢٤] ومثيل موقع كريم شاهر مستوطن موسمي .[٢٥] اذ يعتقد ان السكان عاشوا فيه كغيره من المواقع المكشوفة كمستوطن شبه دائم بعد الانتقال اليه من الكهوف . [٢٦]

وقد اعتمد سكان الموقع في معيشتهم على الصيد وجمع النباتات ، اذ قام هؤلاء السكان بصيد الأغنام البرية والغزال والخنزير البري بالإضافة الى بعض الماشية البرية الأخرى كالغزال الأحمر والذئب والثعلب [٢٧] وقد تم العثور على عظام هذه الحيوانات وظهر ان (٥٠%) منها تعود للأنواع الأليفة الأنفة الذكر والتي دجنها الإنسان لأغراض اقتصادية مما يدل على محاولات أولية نحو ترويض واستئناس الحيوانات .[٢٨] رغم عدم تسجيل تدجين للحيوانات في الموقع الا انه وجد بشكل واضح زيادة في عدد عظام هذه الحيوانات والتي أصبحت مدجنة فيما بعد .[٢٩] كما قام السكان بجمع بعض النباتات وقد تم العثور على بعض الأدوات الزراعية كالمناجل والمجارش والهاونات والمدقات والتي صنعت من الحجر المشظى .[٣٠]

ويشير اكتشاف هذه الأدوات الى قيام سكان الموقع ببعض العمليات الزراعية التجريبية المحدودة .[٣١] ومن جانب اخر يشير اكتشاف هذه الأدوات الى ممارسة السكان لنوع من الصناعة ، اذ عثر الى جانب الأدوات المذكورة الشفرات والنصال الصوانية والازاميل والمثاقب والمحزات الحجرية وألادوات المايكروليثية

(وهي أدوات حجرية دقيقة الصنع وصغيرة سادت في العصر الحجري المتوسط) كما تم العثور في الموقع على الأشياء التي تمثل نوع من الحلي ومواد الزينة الشخصية

كالاساور وحلقات الأصابع ودلايات حجرية وأخرى مصنوعة من العظم وخرز ، كما تم العثور على اثنين من الدمى الطينية ومن خلال ماتم الكشف عنه في الموقع والتي أعطت صورة تقريبية لحياة السكان فيه والعصر والدور البيئي الكبير للمنطقة فان هذا الموقع يمثل انعطافة كبيرة مابين حياة الكهوف وحياة الاستقرار في قرى دائمية مهدت لها محاولات سكان الموقع الاقتصادية والتي ترسخت وتوطدت خلال العصر الحجري الحديث .

دور منطقة كركوك الحضاري خلال فترة العصر الحجري الحديث

يعرف العصر الحجري الحديث بالثورة الزراعية او الإنتاجية الأولى ، اذ أصبح الإنسان منتجاً للطعام بعد ان كان مستهلكاً له .[٣٣] وتحولت حياة الإنسان ومعيشته في هذا العصر تحولاً جذرياً من حياة الصيد والجمع بشكل تدريجي والتي عدت ومعيشته حدثاً مهما في كل مكان وجزء من العالم .[٣٤] وسكن الكهوف والمواقع المكشوفة في العصرين الحجرين القديم والمتوسط الى حياة الزراعة وتدجين الحيوان والاستقرار والتجمع في مجتمعات قروية زراعية ثابتة .[٣٥]

وقد استغرق تحول حياة الإنسان الاف من السنين بسبب التغيير التدريجي لعوامل المناخ والبيئة الطبيعية والذي انعكس على استقرار الإنسان وتفكيره المبدع لتطوير مناحي حياته المختلفة .[٣٦] ويعد العامل المناخي أهم العوامل الرئيسية في منطقة الشرق الأدنى والتي ساهم في حدوث مايسمى (بالانقلاب الاقتصادي) ، اذ كانت هذه المنطقة في مقدمة المناطق التي شهدت بوادر ذلك الانقلاب مع منتصف الالف التاسع قبل الميلاد .[٣٧]

فقد شهدت هذه المنطقة فترة جفاف نسبي كان قد حل بنصف الكرة الجنوبي والذي تندرج فيه منطقة الشرق الأدنى بعد العصر الجليدي الرابع (وورم) والذي كان له أثره في قلة سقوط الأمطار فيها ومن ثم كانت له تأثيراته السلبية على الغطاء النباتي وأنواع الحيوانات التي كانت تعيش عليه وهو ما نتج عنه بطبيعة الحال نقص في موارد العيش التي كان يعتمد عليها الإنسان من نباتات وحيوانات لذا لجا الى أيجاد بدائل جديدة للحصول على قوته من خلال الانتقال والبحث عن مناطق اقل جفافاً تتوافر فيها مجاري المياه والنباتات البرية والحيوانات .[٣٨] لقد شكلت منطقة الشرق الأدنى القديم بؤرة رئيسية للعصر الحجري الحديث وتطوراته ، اذ كانت من أقدم المناطق التي ظهرت وتطورت فيها الزراعة وتدجين الحيوانات نظراً لتمتعها بظروف بيئية وطبيعة مناسبة ففيها كانت الأنواع البرية للقمح والشعير ينموان نمواً طبيعياً في البراري ومن نموهما برزت بدايات الزراعة وفيها أيضاً عاشت اسلاف الكثير من الحيوانات البرية التي استؤنست ودُجن الكثير منها خلال العصر كالكلاب والماعز والأغنام والماشية والخنازير .[٣٩] وقد تميزت مناطق المرتفعات الجبلية والتلول السطحية والمناطق الساحلية لشرق البحر الأبيض المتوسط من بين مناطق الشرق الأدنى خلال فترة العصر الحجري الحديث ، اذ توافرت فيها ظروف الزراعة والتدجين وألاحوال المناخية الملائمة ونسبة السقوط المطري الوفير الكافي للزراعة الديمية والنشاط البشري الكبير .[٤٠] وفي العراق ظهرت في المنطقة الشمالية طلائع أولى القرى الزراعية التي اخذ سكانها على عاتقهم القيام بالعملية الزراعية والتدجينية والتي سارت بالتدرج معتمدةً

علـى ماخلفتـه الطبيعـة مـن نباتـات وحيوانـات غزيـرة متـوافرة فـي هـذا الجـزء من العراق الذي شهد بوادر الثورة الزراعية .[٤١]

وقد بلغت منطقة المرتفعات التلية في الشمال الشرقي أوج التطور الحضاري للعصر الحجري الحديث لما لعبته تلك المنطقة والتي تقف منطقة كركوك في مقدمتها من دور كبير وفعال من التطور الذي شهده العصر بما مثلته قرى هذه المنطقة من تحقيق العديد من المنجزات الحضارية التي بلورت العصر ووضعت لبناته الأساسية التي من خلالها ترسخ وتوطد في العراق بوجه خاص ومنطقة الشرق الأدنى القديم بوجه عام . وتعد قرية (جرمو) ابرز واهم قرى منطقة كركوك والعراق والمنطقة عموماً ، اذ عكست البقايا والمخلفات الأثرية التي تم العثور عليها في القرية من خلال عمليات التحري والتنقيبات الأثرية التي جرت فيها في أواسط القرن الماضي عن جوانب مهمة من التطورات والمنجزات الحضارية التي حققها سكانها في جميع مظاهر وجوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية . تعد جرمو أقدم واهم القرى الزراعية في العراق وغرب أسيا خلال فترة العصر الحجري الحديث .[٤٢] وتقع في منطقة سهلية فسيحة على بعد نحو (١١)كم شرق مدينة جمجمال و (٨)كم جنوب غرب موقع كريم شاهر وبنحو (٣٥)كم شرق مدينة كركوك ، وتبلغ مساحة الموقع بحدود (١٤٠٠ م٢) وترتفع عن السهل المجاور بما يقرب من (٢٣) قدماً .[٤٤] وقد اكتشفت خرائبها المديرية العامة للآثار والتراث في بدايات الأربعينيات من القرن الماضي .[٤٥] ثم شرعت بعثة المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو الأمريكية برئاسة (بريدوود) بالكشف والتنقيب في الموقع في مايس ١٩٤٨ واستمرت لغاية مايس ١٩٥٥.[٤٦] وقد أسفرت التنقيبات عن كشف (١٦) طبقة اثارية تضمنت الطبقات الخمس الأولى وجود كمية من الفخار فيما خلت الطبقات الإحدى عشر الأولى بدءاً من التربة البكر من الفخار.[٤٧] ولذلك سميت هذه المرحلة القروية التي عاشها طلائع الفلاحين من سكان هذا الدور بفترة او عصر ماقبل الفخار (Per-Pottery Neolithic) مما يشير على إنها فترة بدائية في تطور القرى .[٤٨]

وعلى هذا الأساس ميز الباحثون طورين رئيسيين للعصر الحجري الحديث عرف الأول كما ذكرنا سابقاً بطور ماقبل الفخار وعرف الثاني بطور او عصر الفخار لان الإنسان وتحديداً في هذه القرية تعلم طريقة صنع الفخار فيه .[٤٩] وقد امتازت فخاريات جرمو بكونها سمجة وذات جدران سميكة هشة بسبب شيها في درجة حرارة منخفضة وهي غير مدلوكة وغير مزخرفة باستثناء بعض الفخاريات القليلة من الطبقة الخامسة والرابعة والتي كانت مزينة بخطوط متقاطعة بلون اسود او احمر .[٥٠] وقد شكلت صناعة الفخار في هذه القرية أهم الصناعات الرئيسية من مرحلة ممارسة الزراعة المبكرة وتدجين الحيوانات والاستقرار السكني الثابت .[٥١]

وقد حدد تاريخ القرية بحسب طريقة فحص كاربون ١٤ (C14) بحدود (٦٧٥٠ق.م).[٥٢] وقدرت الفترة الزمنية لسكن الموقع مابين (٤٠٠-٥٠٠) سنة .[٥٣] ومن ابرز ماتم الكشف عنه في القرية والتي تشير الى اتساع العمليات الزراعية فيها هو العثور على بقايا حبوب متفحمة لأنواع مهجنة من الحنطة والشعير ، اذ تم العثور على بقايا حنطة هجينة من نوع (Emmer و Einkorn) وعلى بقايا شعير مدجن تحمل سنابله صفين من الحبوب قريب الشبه جداً من النوع البري المسمى (H.Spontaneum) ولكنه يختلف فقط في كبر الحبة وصلابة الساق.[٥٤]

وتعد قرية جرمو من أفضل المناطق القديمة المعروفة التي حدثت فيها زراعة الحبوب ، اذ ان عمليات تهجين الحبوب بشكل خاص كانت متقدمة في هذه المنطقة في تلك الفترة .[٥٥] وبالإضافة الى الحبوب فقد تم العثور على بقايا ثمار بعض الأشجار كالبلوط والفستق والتي يعتقد ان سكان القرية قد قاموا بجمعها للاستفادة من مكوناتها الدهنية .[٥٦] كما تم العثور على بقايا بذور متفحمة لبعض النباتات كالعدس والحمص والجلبان الازرق والبزاليا وقد أظهرت الدراسات الأثرية نمو هذه المحاصيل في القرية واستخدام السكان لها كمادة غذائية مهمة .[٥٧] وقد قام سكان قرية جرمو بتدجين بعض الحيوانات ذات المنفعة الاقتصادية وذلك من خلال العثور على عظامها ومنها الماعز الذي تم العثور على نسبة مرتفعة من عظامه في الطبقات السفلى التي سبقت صناعة الفخار في الفترات المبكرة من تاريخ القرية .[٥٨] والأغنام والتي تم العثور على عظامه في الطبقات السفلى من القرية .[٥٩] والخنازير التي قدرت نسبة عظامها بحوالي (١٠%) من مجموع عظام الحيوانات المدجنة والمكتشفة والتي تم العثور عليها في الطبقات السفلى من القرية .[٦٠]

وكذلك تم العثور على عظام الكلب في القرية كما تم العثور على عظام الخنازير والماشية والأرانب والذئاب والثعالب البرية وبعض انواع الطيور .[٦١] كما تم العثور على كميات كبيرة من القواقع والتي كانت تؤلف جزءاً مهماً من غذاء السكان .[٦٢] وقد شهدت قرية جرمو ممارسة سكانها للعمل الصناعي وذلك من خلال ماتم كشفه في القرية من العديد من الأدوات المختلفة الصنع والمواد ومن ذلك العثور على مواد مصنوعة من الحجر بنوعية الصواني والاوبسيدي الذي يعتقد جلبه من بلاد الأناضول .[٦٣]

ومن تلك المواد صنارات الأبواب الحجرية واواني حجرية .[٦٤] ومجارش ومدقات وهواوين استخدمت في طحن ودق الحبوب وسكاكين ومناجل صوانية ذات مقابض مثبتة بواسطة القير استخدمت للحصد وأدوات مايكروليثية الصنع ومثاقب ونصاليات ذات أشكال محززه .[٦٥] ومغازل صوانية تشير الى معرفة سكان القرية بالغزل والحياكة كالصوف والكتان كما يعتقد.[٦٦] كما تم العثور على مواد زينة وكماليات مصنوعة من الحجارة والعظام ومنها القلائد ذات الخرز والخواتم والدلايات والأساور والتي تم العثور على مايقرب من (٢٢٥) منها في القرية.[٦٧]

كما تم العثور على ملاعق وابر مصنوعة من العظام.[٦٨] ومن أهم ماتم العثور عليه في القرية الدمى الطينية الصغيرة لإشكال حيوانية ونساء عاريات مبالغ في انوثتها وبوضعية الحمل ، اذ تم العثور على مايقرب من (٥٠٠٠) دمية منها غالبيتها مشوية شيئاً خفيفاً ومعمولة بصورة غير جيدة وقسم منها مطلي باللون الأحمر وقد عرفت هذه الدمى (بالإلهة ألام) .[٦٩] وتشير هذه الدمى الطينية التي ترمز لقوى الخصب والإنجاب والطبيعة الى نوع من المعتقدات والأفكار ذات الطابع الديني التي تدور حول تقديس الخصوبة والإنتاج والتي ركز عليها سكان قرية جرمو بوجه خاص والقرى العراقية الأخرى التي تم العثور على نماذج من تلك الدمى فيها خلال ذلك العصر بوجه عام اذ ان تلك المواقع زراعية تعتمد في إنتاجها بصورة رئيسية على المطر وكانت بحاجة للخصوبة ولهذا قدس سكان تلك المواقع فكرة الخصوبة والتي انطلقت من قرية جرمو باعتبارها أقدم قرية زراعية وجدت فيها تلك المعتقدات من خلال تلك النماذج الطينية الموحية لتلك المعتقدات وكل مايولد حياة جديدة وقد رمزوا لعبادتهم هذه الآلهة المصورة للام باعتبار ان الام هي المصدر الوحيد والرئيس للحياة بين الجنس البشري .[٧٠]

ومن بين ماعثر عليه في قرية جرمو والذي يشكل جانباً حضارياً مهماً من التطور نحو الاستيطان القروي الثابت عدد من البيوت السكنية والمقدرة بحوالي (٢٠-٣٠) بيت وقدرعدد سكانها بنحو (١٥٠) شخصاً وهي مشيدة بتخطيط مستطيل وقد كسيت جدران البيوت من الطوف على أسس من الحجارة وقد بلطت أرضيات تلك البيوت فوق القصب الذي استخدم أيضاً الى جانب الأشجار لتسقيفها .[٧١] وقد احتوت تلك البيوت على عدد من الغرف الصغيرة بلغ طول تلك الغرف في البيت الواحد مابين (٥) او (٦) امتار .[٧٢]

لقد شكلت قرية جرمو ابرز مناطق الاتصال والتأثير الاقتصادي والاجتماعي للعراق بوجه عام خلال فترة العصر الحجري الحديث مع المناطق المجاورة والتي عكست جانباً مهماً من التطور الاجتماعي والصلات والعلاقات التي تربط سكان العراق القديم مع سكان تلك المناطق وقد كان لقرية جرمو دوراً رئيسياً مهماً في ترسيخها وتعزيزها ومن ذلك قيام سكان القرية بجلب الاوبسيديان من المناطق المجاورة وتحديداً من وسط بلاد الأناضول وبحيرة وان وبعض مناطق ارمينيا وخصوصاً الأجزاء المتاخمة للأناضول .[٧٣] والتي تعد المصدر الأساس له وقد عدت قرية جرمو من أقدم القرى المعروفة في منطقة الهلال الخصيب من حيث قربها من مصادر تلك المادة وتشير بعض المصادر بان سكان القرية قد قاموا بتجارة ناجحة عبر المناطق الجبلية قبل (٦٠٠٠) سنة ق.م لجلب تلك المادة التي تفتقر اليها أرضهم مما جعلهم يحتكون بمجتمعات تقع الى الشمال من تلك المناطق في الأناضول وشمالها في ارمينيا .[٧٤] مما يقدم دليلاً واضحاً على قيام صلات تجارية وربما اجتماعية بين سكان تلك القرية وسكان تلك المناطق .

وقد شكلت الصناعة الحجرية المشظاة من الاوسبيديان من حوالي (٤٠%) من مجموع الصناعة الحجرية في القرية .[٧٥] ومن بين التأثيرات الاجتماعية مابين سكان قرية جرمو والقرى الزراعية العراقية الأخرى العثور على مايشبه بتمثال الإلهة ألام في العديد من القرى والمناطق المجاورة للعراق وخصوصاً قرية جاتال هويوك إحدى ابرز قرى العصر الحجري الحديث في بلاد الأناضول والتي كانت تربطها علاقات وتأثيرات اقتصادية واجتماعية كبيرة مع قرية جرمو تعدت أسلوب الصناعة وأشكال المواد المصنعة التي تتشابه الى حد كبير مابين القريتين .[٧٦]

ومن بين القرى الزراعية التي كان لها دوراً حضارياً مهماً في منطقة كركوك خلال فترة العصر الحجري الحديث قرية مطارة التي وجدت في احد التلول المسمى (قرة يطخ) الذي يبعد نحو (٤كم) من القرية التي تقع جنوبي مدينة كركوك بحدود (٣٥كم) اثار زراعية مبكرة.[٧٧] ويبلغ ارتفاع التل (٨ م) وقطره (٢٠٠ م) وبارتفاع حوالي (٧٥٠ قدم) فوق مستوى سطح البحر ويعود تاريخ القرية حسب اختبار كاربون ١٤ (C14) الإشعاعي الى حوالي (٧٥٧٠ ± ٢٥٠) ق.م .[٧٨]

وقد نقب في موقع القرية بعثة اثرية امريكية من المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو برئاسة روبرت بريدوود (Braid wood, R.) وقد أسفرت تنقيبات البعثة عن كشف (٥) طبقات بنائية تم العثور فيها على كسرات فخارية من نوع حسونة وسامراء وعدد من الجرار والأطباق وقطع عظمية تمثل نوعاً من الابر يحتمل استخدامها للخياطة ومقاشط وأقراص طينية ربما تمثل مغازل استخدمت للحياكة ، فضلاً عن هياكل عظمية وجماجم بشرية . [٧٩] كما عثر على أدوات مصنوعة من الاوبسيديان كالشفرات وعدد من القطع المايكروليثية .[٨٠] مما يشير الى جلبها من خارج المنطقة ، كذلك تم العثور

على أدوات حجرية تشمل هاونات ومدقات وأنواع من أحجار الطحن وفؤوس وازاميل كما عثر على بعض مواد الزينة المصنوعة من الحجر والصدف والعظم كما عثر على دمى غير منتظمة تمثل الإلهة ألام وكسر لدمى حيوانية . وقد عاش سكان القرية في بيوت مستطيلة مبنية من الطوف احتوت على غرف عديدة [٨١] تم الكشف عن مجموعة منها وقد شيد البعض منها باللبن وبالبعض الأخر بالطوف [٨٢].

الهوامـــش والمصادر

(١) الدباغ ، تقي ، " البيئة الطبيعية والإنسان " ، في : حضارة العراق ،ج١ ، بغداد، ١٩٨٨ ، ص٣٠-٣١.

(٢) الجاسم ، صباح عبود ، مرحلة الانتقال من جمع القوت الى أنتاج القوت في العراق وغرب أسيا، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٧٥ ، ص٢٦.

(٣) الدباغ ، " البيئة الطبيعية والإنسان " ، المصدر السابق ، ص٢٦.

(4) Kuhrt , A. The Ancient Near East c.3000-330 B.C,Vol.1, London ,2002,P.13.

(5) Reed, C. A., "A Review of The Archaeol ogical Evidence of Animal Domestications", In: Iraqi Kurdistan ,Chicago, 1960., P,135.

(٦) المرتفعات التلية للهلال الخصيب : اصطلاح أطلقه الباحث الاثاري روبرت بريدوود (Rraidwood.R) على المرتفعات التلية التي تشكل قوساً على جانبي جبال زاكروس العراقية والايرانية والمنطقة الساحلية لشرق البحر الأبيض المتوسط . ينظر:

Braid wood , R. Howe ,B., Prehistoric Investigations In Iraqi Kurdistan , Chicago , 1960, P. 9.

(7) Reed , OP. Cit, P, 183.

(8) Ibid ,P. 183.

(9) Braid wood – Howe, OP. Cit, P.146.

(١٠) الدباغ ، تقي ، " الثورة الزراعية والقرى الاولى " ، في : حضارة العراق ، ج١، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص١١٨.

(١١) باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج١ ، بغداد ، ١٩٧٣،ص١٨٣.

(١٢) الدباغ ، تقي ، الوطن العربي في العصور الحجرية ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص٨١.

(١٣) عصر البلايستوسين Pleistocene Epoch: هو العصر الأخير من زمن الحياة الحديثة (Cenozioc Era) والتي تمتد منذ حوالي (٦٣مليون) سنة والى الوقت الحاضر ويعتبر كثير من الباحثين عصرنا الحديث الذي نعيش فيه

ألان امتـــداد لهـــذا العصـــر بينمـــا يفـــرده الآخـــرون فـــي عصـــر خـــاص بـــه يسمونه (هولوسينHolocene) وقد استغرق العصر مدة تقارب المليوني سنة ويعد هذا العصر من أهم العصور من الناحية الجيولوجية والجغرافية ومن ناحية تطور الإنسان . وقد أطلق تسمية أخرى للعصر هو العصر الجليدي (Ice Age) . وقد قسم الباحثون هذا العصر الى أربعة فترات جليدية تخللت بين فترة وأخرى حقبة او فترة دفيئة وقد سميت هذه الفترات الجليدية بأسماء ووديان من جبال الألب وهذه الفترات هي :

فترة جليد كنز (Gunz).

فترة جليد مندل (Mindle).

فترة جليد رس (Riss).

فترة جليد وورم (Wurm).

ينظر : الدباغ ، تقي – الجادر ، وليد ، عصور ماقبل التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٣، ص١٧.

وينظر أيضاً: الصائغ ، عبدالهادي يحيى – العمري، فاروق صنع الله ، الجيولوجيا العامة ، الموصل ، ١٩٩٩ ، ص٣٦١-٣٦٢.

(14) Watkins, T. " Centres and Peripheries : The Beginning of Sedentery Communities in N. Mesopotamia", In: Subartu, Vol. 1, In: Berpols ,1998, P. 1.

(15) Nissen, H. J, The Early History of the Ancient Near East 9000-2000 B. C. , Chicago , 1988,pp:16-17.

(١٦) الاعظمي ، محمد طه محمد ، الأسوار والتحصينات الدفاعية في العمارة العراقية القديمة ، أطروحة دكتواره غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بغداد، ١٩٩٢ ، ص٢.

(١٧) الدباغ ، " الثورة الزراعية " المصدر السابق ، ص١١١.

وينظر أيضاً: النجم ، حسين يوسف حازم ، اقتصاد القرى الزراعية خلال العصرين الحجريين الحديث والمعدني في العراق ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٦ ، ص٢٩.

(١٨) الجاسم ، المصدر السابق ، ص٧٢.

(١٩) الدباغ ، الوطن العربي ، المصدر السابق ، ص٨٥.

(٢٠) باقر ، المصدر السابق ، ص١٨٤.

(٢١) حول تلك الكهوف ينظر :

Solecki, R., " Shanidar Cave, A Palaeolithic Site In Northern Iraq and Its Relationship to the stone Age Sequence of Iraq": Sumer, Vol. 11, 1955, pp:20-22.

(٢٢) حول تلك المواقع ينظر :

Braid wood-Howe, op. cit, pp: 50-55.

Also See: Mellaart , J., " Earliest Settlements in Western Asia From The Ninth To The End of the Fife In Millennium B. C. In: The Cambridge Ancient History , Vol . 1, part -1 , 1970, pp: 254-257.

(23) Finegan, J., Archaeological History of The Ancient Middle East, united states of America , 1979, p.3.

Also See: Mellaart ,op.cit, p.257.

(24) Charvat, p., Mesopotamia Before History , London, 2002, P. 7.

Also See: Braid wood-Howe , op. cit, pp: 52-54.

(25) Charvat. Op. cit, p. 7.

(٢٦) الرويشدي ، سعدي ، نظرة في عملية تدجين النبات والحيوان، مجلة سومر ، مج٢٩ ، ١٩٧٣ ،ص٤.

(27) Charvat. Op. cit, p. 7.

(٢٨) الدباغ ، الوطن العربي ، المصدر السابق ، ص٨٦.

(29) Mellaart, Op. cit, p. 7.

(30) Charvat. Op. cit, p. 7.

(٣١) الدباغ ، الوطن العربي ، المصدر السابق ، ص٨٦.

(32) Charvat. Op. cit, p. 7.

(٣٣) الدباغ ، الوطن العربي ، المصدر السابق ، ص١٠١.

(34) Smith, B. C. " Low-Level Food Production" , In : Journal of Archaeological Research 9/1, 2001, pp: 1-43.

(35) Braidwood , R. J., " The Early Village In South Western Asia", In: Journal of Near Eastern Studies, Chicago, Vol. 32, 1973, p. 39.

(٣٦) النجم ، المصدر السابق ، ص٣١.

(٣٧) المصدر نفسه ، ص٣٢.

(38) Herbert, E. – Wright, Jr., " Climate and Prehistoric Man in the Eastern Mediterranean" , In: Prehistoric Investigations In Iraqi Kurdistan, op.cit, p. 71.

وينظر أيضاً: النجم المصدر السابق ، ص٣١

(٣٩) كول ، سونيا، ثورة العصر الحجري الحديث ، ترجمة : تقي الدباغ – نادية سعدي الدبوني ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص٥.

(40) Kuhrt, A., The Ancient Near East , London , 2002, PP:12-13.

(٤١) ابو الصوف ، بهنام ، " أعالي مابين النهرين تشهد نواة أول ثورة زراعية في التاريخ" ، مجلة بين النهرين ، ع١ ، ١٩٧٣ ، ص٨-٩.

(42) Braidwood, R., " Jarmo: Avillage of Early Farmers" , In: Antiquity , Vol. 24: 189, 1950. (From Internate).

(43) Finegan, op. cit, p. 3.

وينظر أيضاً: الدباغ ، " الثورة الزراعية ،المصدر السابق ، ص١٢١.

(٤٤) الدباغ ، الوطن العربي ،المصدر السابق ، ص١١٤.

(45) Erickson, Ch. " Jarmo " The Oxford Encyclopedia of Archaeology In The Near East, 1997.

(www.maxpages.com).

(٤٦) صالح ، قحطان رشيد ، الكشاف الأثري في العراق ، بغداد ، ١٩٨٧، ص٧٦.

(47) Nissen, H. J., The Early History of The Ancient Near East 9000-2000 B. C., Chicago, 1988, P. 27.

(٤٨) الدباغ ، الوطن العربي،المصدر السابق ، ص١١٤.

(49) Moore, A. M., The Neolithic of The Levant , Oxford, 1978 (From Internate).

(50) Braidwood – Howe, op. cit, p. 44.

(51) Jawad , A., " The Advent of the Era of Townships In Northern Mesopotamia" , In: Archive Orientalni, Vol. 36, Prag, 1968, p. 491.

(52) Mellaart , op. cit, p.257.

(53) Finegan , op. cit, p.257.

Emmer : نوع من الحنطة البدائية الاوراسية تحمل سنابلها أربعة صفوف من الحبوب ذوات السبعة كروموسومات . ينظر: رايت ، أ. ج ، البيئية الطبيعية لبدايات مرحلة أنتاج الغذاء في شمال مابين النهرين ، ترجمة : فؤاد حمة خورشيد ، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ع ٦٤، ٢٠٠٣، ص١٤٤.

Einkorn : نوع من الحنطة البدائية كانت تنمو في المناطق الجافة تحمل سنابلها صفين من الحبوب ذوات السبعة كروموسومات . ينظر: رايت ، المصدر السابق ، ص١٤٦.

(54) Helback, H., " The Paleothnobotany of The Near East and Europe", In: Prehistoric Investigations In Iraqi Kurdistan , op. cit, p. 103.

وينظر أيضاً: كول ، المصدر السابق ، ص١٢.

(٥٥) الرويشدي ، المصدر السابق ، ص٤-٨.

(56) Mellaart , op. cit, p.257.

(57) Ibid, p. 257.

وينظر أيضاً: النجم ، المصدر السابق ، ص٥٨.

(٥٨) المصدر نفسه ، ص٦٦.

(59) Berger, R. Protsch, R., " The Domestication of Plants and Animals In Europe and The Near East" , In: Orientalia, Roma, Vol. 42, 1973, p. 221.

(60) Ibid, p. 221.

(61) Charvat , op. cit, p.257.

(٦٢) الدباغ ، الوطن العربي ، المصدر السابق ، ص١١٥.

(63) Mellaart , op. cit, p.257.

(٦٤) الدباغ ، الثورة الزراعية ،المصدر السابق ، ص١٢٣.

(65) Charvat , op. cit, p.257.

(66) Braidwood, op. cit.

(67) Charvat , op. cit, p.13.

Also See: Mellaart, op. cit, p.257.

(68) Braidwood, op.cit.

(69) Cauvin, The Birth of The Gods and the Origins of Agriculture, Translated By: Trevor Watkins , Cambridge, 2003, pp: 29-31.

وينظر أيضاً: كسار ، أكرم محمد عبد ، " قراءة في نتاجات الإنسان الفنية الأولى"، مجلة سومر ، مج٣٩، ١٩٨٣، ص٣٥.

(70) Cauvin, op. cit, pp: 29-31.

وينظر أيضاً: سعدي ، الرويشدي ، "نظرة في منجزات إنسان ما قبل التاريخ في ضوء الدراسات الحديثة" ، مجلة سومر ، مج٢٦ ، ١٩٧٠، ص٣٨٣.

(71) Mellaart , op. cit, p.257.

وينظر أيضاً: الدباغ ، الوطن العربي ، المصدر السابق ص١١٦.

(72) Braidwood , op. cit.

أحيانا	نادرا

وينظر أيضاً: الدباغ ، الوطن العربي ، المصدر السابق ، ص١١٦.

(73) Wright, H., " Obsidian Analyses and Prehistoric Near Eastern Trade: 7500 To 3500 B. C. " , In: Archive Orientalni, Praq , Vol. 43, 1957, p.91.

(٧٤) ديكسون ، جي – كان ، جي – رين ، كولن ، " الحجارة الاوبيسيدية وأصول التجارة " ترجمة رضا جواد الهاشمي ، مجلة سومر ، مج ٢٨ ، ١٩٧٢ ، ص٢٥٩-٢٦٠.

(75) Charvat , op. cit, p.13.

(76) Mellaart , J. " Catal Huyuk: The 1960 Seasons" , In: Ancient Anatolia , Ankara, 1998, pp: 35-43.

(٧٧) صالح ، المصدر السابق ، ص٩٢. وينظر أيضاً: الدباغ ، " الثورة الزراعية" ، المصدر السابق ، ص١٢٨.

(٧٨) الجاسم، المصدر السابق ، ص١٣٦.

(٧٩) صالح ، المصدر السابق ، ص٩٢.

(٨٠) الجاسم ، ص٩٢.

(٨١) المصدر نفسه ، ص٩٢.

(٨٢) صالح ، المصدر نفسه ، ص٩٢.